فصل تمهيدى
مفهوم الأيديولوجية الصهيونية

١ـ مفهوم الأيديولوجية

يعد مصطلح "الأيديولوجية"، من المصطلحات الشائعة منذ آواخر القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر. "وكان من أوائل من استخدموه المفكر الفرنسى "أنطون دوتراسى"، فى مايو من عام ١٧٩٧، ليدشن به علما جديدا أسماه "علم الأفكار" Science of ideas ، وليشير فى الوقت نفسه، إلى أنه "وإن كان الاصطلاح جديدا، فإن لذلك العلم جذورا قديمة"[١].

ومع هذا، فإن تعريفاته لا تزال ملتبسة فى أذهان الكثيرين من مستخدميه، نظرا لأن شيوع المصطلح لا يعنى بالضرورة اتفاق الجميع على تعريف واضح له. ومن هنا سنسعى لتقديم بعض التعريفات الخاصة بالأيديولوجية ومفهومها، كمدخل لابد منه للوقوف على مفهوم "الأيديولوجية الصهيونية" بشكل دقيق. فالأيديولوجية هي: "وضع النظريات (بطريقة حالمة أو غير عملية). وهى مجموعة نظامية من المفاهيم فى موضوع الحياة أو الثقافة البشرية. وكذلك طريقة (أو محتوى) التفكير المميز لفرد أو جماعة أو ثقافة. والنظريات والأهداف المتكاملة التى تشكل قوام برنامج سياسى اجتماعى أو مذهب. وIdeologist (الأيديولوجي): هو المناصر أو المشايع لنظام أو معتقد معين. وهو أيضا واضع النظريات الحالم"[٢]. كما يشير قاموس "أكسفورد" إلى أن: "الأيديولوجية هي: العقيدة والمذهب، وأنها منظومة من الأفكار تشكل قواعد لنظام سياسى أو اقتصادى"[٣].

---

(١) محمد محمود ربيع(د)، الأيديولوجيات السياسية المعاصرة قضايا ونماذج، كاظمة للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى ١٩٧٩، ص١٠.

(٢) منير البعلبكى، قاموس المورد، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثلاثون، ١٩٩٦، ص٤٤٧.

(3) Oxford Word Power – Oxford University Press-London, 1999, P.377.

وإذا انتقلنا لتعريف يغطى مساحة أكبر من المجالات، سنجد أن هناك من يعرِّف الأيديولوجية كمصطلح، على أنه"مصطلح به كل مجموعة نظامية من المفاهيم فى موضوع الحياة أو الثقافة البشرية. وهو صياغة أفكار معينة عن طبيعة النشاطات المختلفة والمؤسسات التى تجسدها فى نظام عقائدى متكامل"[١]. وفى مقابل ربط الأيديولوجية بالمفهوم العام المتعلق بحقبة تاريخية أو جماعة سياسية، فإنها قد تعنى على المستوى الخاص "التشكك فى صحة أفكار ووجهة نظر الخصم واعتبارها قناعا، وذلك بمجرد أن يتشكل لدينا انطباع بتناقضها مع مصالحنا، وهذا المعنى الخاص يقرب الأيديولوجية من مفهوم الكذب"[٢]. غير أن هذا التعريف يشوبه قدر من القصور نظرا لتجاهله الارتباط بين المفهوم الفكرى لمصطلح الأيديولوجية وبين وضع نظريات أو صياغة الأفكار فى صورة نظريات.

ويطلق مصطلح أيديولوجية على أية مجموعة من المعتقدات تدور حول "ما يجب أن يكون"، وبالتالى فإنه يمكن إطلاق هذا الاصطلاح على أى بناء فكرى ذو صفة معيارية. فالأيديولوجية "تولد المواقف، وهى بمثابة العدسة التى من خلالها يعرف المؤمنون بها الحقيقة. غير أنها قد تتحول بمرور الزمن إلى أمر غير ذى موضوع إذا استجدت تحديات لم تتضمنها الأيديولوجية أو لم يتطرق مفسروها إليها. وعندما تشيخ الأيديولوجية فإن ما يتبقى منها هو العقلية التى آمنت بها أو تربت عليها ورسخت فى أذهان أنصارها، وهو ما يعتبر بمثابة التراث الأيديولوجى المتوارث"[٣].

أما الاشتقاق العربى المقابل فهو: "معتقد" من الفعل الثلاثى "ع ق د (عقد) الحبلَ والبيعَ والعهدَ يعقدهُ: شدهُ. والعقدُ: الضمانُ والعهدُ. وتعاقدوا: تعاهدوا"[٤].

---

(١) منير البعلبكى، موسوعة المورد، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠، المجلد الخامس، ص ١٧١.

(٢) راجع : عبد العليم محمد(د)، ، الخطاب الساداتى، كتاب الأهالى، القاهرة، رقم (٢٧)، أغسطس ١٩٩٠، ص ٢٤.

(٣) رشاد عبد الله الشامي(د)، تقرير لجنة الأيديولوجية، دراسة مستقبلية لاحتمالات عملية التسوية السياسية حتى عام ٢٠٠٠، الجزء الأول، جامعة عين شمس، كلية الآداب – مركز الاستشارات، القاهرة، ١٩٩٨، ص ٩٧.

(٤) ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، الطاهر أحمد الزاوى، دار المعرفة، الجزء الثالث ص ٢٧٠، ٢٧١.

وفى المقابل، يرى "معجم العبارات السياسية" أن "كلمة Ideological تعنى (مذهبي)، لذا ترجم عبارة: The ideological divorce (الانشقاق المذهبي)، وترجم عبارة: Negotiations cutting across ideological frontiers (مفاوضات تتخطى الحواجز المذهبية) (الأيديولوجية)"[1]. ويفهم من هذا أن "المذهب" مرادف للأيديولوجية، وإن كان التعبير اللغوى العربى الأكثر رصانة، بالنسبة لمعجم العبارات السياسية، هو المذهب.

ويمكننا فى النهاية أن نقدم مفهومنا الخاص للمصطلح، والذى يرى أن الأيديولوجية هى : منظومة من المفاهيم أو زاوية فى الرؤية المميزة لأفراد أو جماعة أو ثقافة، لا تسمح فى أغلب الأحوال بأن يعترضها أو يخالفها شيء.

وإذا كانت الأيديولوجية السياسية هى "نظام متسق من الأفكار والمعتقدات، يفسر موقف الإنسان من المجتمع، ويؤدى إلى اعتماد نسق من السلوك يجسم تلك الأفكار والمعتقدات ويتفق معها"[2]، فإن من "أهم وظائف الأيديولوجية تعميم الخاص، بمعنى تقديم الطبقة الحاكمة مصالحها الخاصة على أنها المصالح العامة لكل أفراد المجتمع أو على أنها المصالح العليا للشعب"[3].

ويفهم مما سبق أنه "يجب النظر إلى الأيديولوجية على أنها تشتمل على معتقدات فى المرتبة الأولى، وعلى أفكار فى المرتبة الثانية"[4]. وبالتالى فإنه من الصعب للغاية المساس بها، حتى ولو عن طريق إعمال المنطق والعقل.

والخلاصة هى أن للأيديولوجية ثلاثة أبعاد: بعدا فكرى يتمثل فى الأفكار التى تتضمنها، وبعدا نظريا يتمثل فى صياغة هذه الأفكار فى صورة نظريات وبعد عقائدى يتمثل فى الإيمان بهذه الأفكار.

وينسحب الاضطراب فى تفسير مصطلح الأيديولوجية على استخدام الأيديولوجية فى الحقل السياسى، لذا "قد يفسر الأفراد الأيديولوجية التى يؤمنون

---

(1) A Dictionary of Modern Political Idiom, Magdi Whba, Wagdi Rizk Ghalip, Librairie du Liban, 1978, P.277.

(٢) حسن صعب، علم السياسة، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة، بيروت، ١٩٧٦، ص٥٣.

(٣) عبد العليم محمد(د)، المرجع السابق، ص ٤٠.

(4) Moustafa Rejai, Decline of Ideology, Chicago-New York, 1971, P.3.

بها تفسيرات متعددة، قد تنتهى بالاتفاق أو قد تنحرف عن مفهومها ومسارها. ولا يقتصر الغموض فقط على الأيديولوجية نفسها وقابليتها للتفسير بطرق متعددة، وإنما ينسحب أيضا على الأوضاع التى تطبق فيها من حيث ما قد يشوبها من ارتباك وخلط مشاعر. فالطموح والرغبات الشخصية مثلا، ليست لها طبيعة أيديولوجية ومع ذلك فهى تحل أحيانا محل الأيديولوجية فى التأثير على سلوك الفرد"[١]. وبالتالى قد يقوم بعض الأفراد الطموحين بصياغة طموحاتهم الشخصية فى فكرة معينة، ومحاولة تنظيرها لتصبح ذات طابع أيديولوجى، وهو ما يؤدى بالضرورة إلى خلط المصطلحات ذات البعد والمفهوم الدينى والقومى بالمصطلحات ذات المفهوم الفكرى، وهو أمر شائع فى الفكر الإسرائيلى المعاصر. وعلى سبيل المثال، فإن تعبير "القومية اليهودية" هو "من المصطلحات الشائعة فى المصادر الصهيونية للإشارة إلى الأيديولوجية الصهيونية"[٢]، مع أن الفارق بعيد بين مفهوم القومية وبين مفهوم الديانة، خاصة وأن إطار التنظير للأيديولوجية الصهيونية قام على خلط غير متوازن، ومربك بين عناصر علمانية ودينية.

٢ـ الأيديولوجية الصهيونية

استغلالا لأوضاع دولية تريد التخلص من فقراء اليهود، وعاداتهم الغريبة الانغلاقية، واستغلالا للدين اليهودى الذى يشير لمملكة إسرائيل التى يؤسسها المسيح المخلِّص[٣]، بدت الصهيونية وكأنها رفعت شعار الغاية تبرر الوسيلة. فقد "كان الصحفى والأديب مزدوج الجنسية (كان يحمل الجنسية النمساوية والمجرية) "تيودور هرتزل" على قناعة بأن مستقبل الشعب اليهودى يقضى بالضرورة معاودة

---

(١) محمد محمود ربيع(د)، المرجع السابق، ٢٣.

(٢) راجع: إبراهيم البحراوي(د)، الدين والدنيا فى إسرائيل، كتاب الهلال، العدد ٥٦٩، مايو ١٩٩٨، ص ١٣.

(٣) المسيح المخلص: اصطلحت العبرية على استخدام لفظ "مشيحوت" للتعبير عن مبدأ الإيمان بخلاص شامل يتحقق على يد الملك المسيح، الذى يعتبر قدومه مؤشرا لبداية مستقبل مثالى. ويعنى الفعل מָשַׁח فى عبرية العهد القديم: أن يمسح بالزيت المقدس. وفى عصر التلمود والعصور التى تلت ذلك، أصبح مدلول اللفظ "ماشيح" (مسيح) يستخدم فقط للدلالة على ملك يأتى فى المستقبل من بنى إسرائيل، مزودا بقوى من الرب الذى اختاره ليخلص بنى إسرائيل من الأعداء، ويحكمهم كملك عظيم ويخضع باقى الأمم الأخرى لسيطرته الدينية والسياسية (انظر : منى ناظم(د)، المسيح اليهودى ومفهوم السيادة، الاتحاد، أبو ظبى، ١٩٨٦، ص ٢٨: ٣٦).

إحياء مقومات الأمة، فأسس لهذه الغاية الحركة الصهيونية التى اشتقت اسمها من لفظة "صهيون" العبرية، وهو اسم رابية من روابى القدس يقصد منها الإشارة إلى القدس أو "أرض إسرائيل"، وفقا لمقتضيات الأيديولوجية الصهيونية الرامية للتعبير عن أشواق يهود العالم لما يعتبرونه وطنهم التاريخى"[1]. والصهيونية بناء على هذا هى "حركة سياسية ترمى لإقامة دولة يهودية فى فلسطين"[2]. مستغلة فى ذلك -منذ الإرهاصات الأولى لها- تقاطع مصالحها مع مصالح القوى العظمى، التى اعتقدت أنها بدعمها للفكرة الصهيونية "ستحقق فائدة مزدوجة تتمثل فى التخلص من يهود أوروبا، والهيمنة على الشرق"[3]. والحق أن الغرب لم يتخلص حتى الآن من كل اليهود الذين كانوا يعيشون فيه.

وبشكل عام، نجد أن "للصهيونية سمتين: الأولى، الاستعمار الاستيطانى الذى يتمثل فى استقدام مهاجرين يهود من شتى بقاع العالم، ليغتصبوا أرض شعب آخر، ويستعمروها ويستقروا فيها. ولأن هذا الفعل يستدعى ، حكما، طرد أصحاب الأرض الشرعيين، وإحلال الغزاة محلهم، فالصهيونية هى استعمار إحلالى إرهابى، وهذه سمتها الثانية"[4]. فالهجرة والإحلال هما أهم ما يميز الفكر الصهيونى منذ بداياته الأولى. وحتى قبيل إعلان دولة إسرائيل، كان هناك من يعتبرون أن الحركة المسماة بالصهيونية حركة قائمة على أفكار نظرية، غير قابلة للتطبيق على أرض الواقع، وأنها مجرد: "حركة حديثة قام بها بعض الخياليين من اليهود"[5]. وقد كان هذا

---

(١) בנימין ניוברגר، הציונות ، אתר משרד החוץ הישראלי באנטרנט. www.mfa.org.il

وراجع أيضا: The New Encyclopedia Britannica, Encyclopedia Britannica, Chicago; Sydney, 15 th. Ed.1986, Vo.20 P.139.

(٢) أورى وزولى، هل ستبقى إسرائيل حتى عام ٢٠٤٨؟، ترجمة سميرة دميان، الهيئة العامة للاستعلامات، القاهرة، كتب مترجمة ٨٤٥، ٢٠٠٢، ص ٢٤

(٣) راجع: عبد الوهاب المسيري(د)، ندوة الصهيونية بعد مائة عام الكيان الصهيونى بعد خمسين عاما – الجامعة اللبنانية واليونسكو، بيروت، ١٩٩٨، ص ٢٢٩-٢٣٢، وراجع: ريجينا الشريف، الصهيونية غير اليهودية جذورها فى التاريخ الغربى، ترجمة ، أحمد عبد الله عبد العزيز، عالم المعرفة، الكويت، العدد ٩٦، ١٩٨٥.

(٤) هيثم الكيلاني(د)، الإرهاب يؤسس دولة – نموذج إسرائيل، دار الشروق، القاهرة،١٩٩٧، ص ٣١.

(٥) بيان محمد عزة دروزة فى ١٤-١-١٩٣٧، موسوعة القضية الفلسطينية – ملف وثائق وأوراق القضية الفلسطينية- الجزء الثالث، الهيئة العامة للاستعلامات، القاهرة، بدون سنة نشر، ص١٩٦.

يتسق مع عبارة قالها الملك "فيكتور إيمانويل" ملك إيطاليا فى طرابلس عام ١٩٠٤، حيث قال ردا على طلب "تيودور هرتزل" بدولة يهودية: "ولكنه وطن شعب آخر"[١]. غير أن المصالح الغربية تغلبت فى النهاية على الناحية العقلانية، بصدور وعد بلفور[٢] – وهو من لا يملك- الذى يمنح اليهود – وهم من لا يستحق- وطن الشعب الفلسطينى.

ولأن "هرتزل كان يعلم أن المشروع الصهيونى لن يتحقق مطلقا ما لم يحظ بتأييد إحدى الدول العظمى، فقد سعى للحصول على تأييد السلطان العثمانى أو "غليوم"[٣] إمبراطور ألمانيا، أو وزراء قيصر روسيا، أو البابا "بيوس العاشر"[٤] فى الفاتيكان، لكنه فشل معهم جميعا. مما اضطره للتوجه عام ١٩٠٤ للندن طالبا دعم الحكومة البريطانية، لكنه مات فى عام ١٩٠٨ قبل أن ينجز الكثير، بينما استطاع حاييم ڤايتسمان[٥]، أن يحقق حلمه بعد ذلك بتسعة أعوام من خلال الحصول على

---

(١) جون كويجلى "القدس فى القانون الدولى"، مؤتمر "الوضع الجارى فى القدس ومستقبل عملية السلام"، لندن، يونيو ١٩٩٥، ترجمة وزارة الدفاع- القاهرة، بدون سنة نشر، الجزء الأول، ص٢٢.

(٢) **وعد بلفور**: هو التصريح الشهير الذى أصدرته الحكومة البريطانية عام ١٩١٧ –من خلال وزير خارجيتها جيمس بلفور–تعلن فيه عن تعاطفها مع الأمانى اليهودية فى إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين، وحين صدر الوعد كان عدد أعضاء الجماعة اليهودية فى فلسطين لا يزيد عن ٥٪ من مجموع عدد السكان. راجع: عبد الوهاب المسيري(د)، المرجع السابق، المجلد ٦، ص٤٤.

(٣) **غليوم**: ملك بروسيا ولد عام ١٧٩٧ وتوفى ١٨٨٨ تولى العرش عام ١٨٦١ وأصبح أمبراطورا على المانيا ١٨٧١. حقق الوحدة الألمانية (راجع، المنجد فى اللغة والإعلام، مرجع سابق،ص٣٩٢، ٣٩٣)

(٤) **بيوس العاشر**: بابا الفاتيكان من عام ١٩٠٣ حتى ١٩١٤. (انظر: نفس المرجع، ص ١٦٤).

(٥) **حاييم ڤايتسمان** : ولد عام ١٨٦٤ فى روسيا، وهو زعيم صهيونى، وعالم كيميائي. تلقَّى ڤايتسمان تعليماً دينياً تقليدياً حتى سن الحادية عشرة، لكنه تلقَّى بعد ذلك تعليماً علمانياً. غادر ڤايتسمان سويسرا إلى إنجلترا عام ١٩٠٤ وعُيِّن فى جامعة مانشستر، وقد جمع حوله مجموعة من الصهاينة اليهود الذين كانوا قد بدأوا فى تكثيف النشاط الصهيونى وكوَّنوا نواة الحركة الصهيونية فى إنجلترا. وفى عام ١٩٠٧، فى المؤتمر الثامن، ألقى خطبته التى اقترح فيها تبنِّى ما سماه "الصهيونية التوفيقية"، وبعد نهاية المؤتمر قام ڤايتسمان بأول زيارة لفلسطين. ثم صدر وعد بلفور. انتُخب ڤايتسمان رئيساً للمنظمة الصهيونية العالمية عام ١٩٢١ فى المؤتمر الصهيونى الثانى عشر. وهو أول رئيس لدولة إسرائيل. وتوفى عام ١٩٥٢. (انظر: عبد الوهاب المسيري(د) ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية –نموذج تفسيرى، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٩، المجلد السادس، ص ٢٥٣).

وعد بلفور"[1]. وقد كانت وسيلته فى هذا تقديم مساعدة عسكرية لقوات الحلفاء فى حربهم ضد قوات دول المحور. والمساومة على فلسطين مقابل هذه المساعدة.

وإذا كانت الأمم المتحدة قد دمغت الصهيونية بالعنصرية -حتى تم عام ١٩٩١ صدور قرار آخر لا يتطرق لعنصريتها وكأنه ينسخ القرار السابق- فإنها أيضا إرهابية، لأن "مفهوم الإرهاب يضم فى مشتملاته حزمة من الخصال تتيح للإرهابى أن يستبيح جميع القيم والمبادىء الإنسانية والأخلاقية"[2]. وبناء على ذلك فإن "الصهيونيين هم أولئك الذين يعتبرون اليهود شعبا قوميا مستقلا، ينبغى إعادة توطينه ككيان سياسى مستقل فى فلسطين، لكى يقيم هناك دولة قومية، خاصة باليهود وحدهم"[3]. وفى هذا فكر عنصرى لأنه يخص ديانة معينة بالحق فى هذا الوطن دون سائر أبنائه وفيه جريمة حرب تتمثل فى استيطان أرض محتلة.

ويمكننا فى هذا السياق أن نوضح أن "الأيديولوجية الصهيونية لا تمثل أيديولوجية مترابطة أو متناسقة، وإنما تضم مجموعة من الاتجاهات الرئيسية التى ترقى إلى مستوى العقائد التى تستخدمها الصهيونية رغم تنافرها، كوسائل لتحقيق أهدافها دون الإيمان أو الالتزام بمعظم تلك العقائد"[4]. وهو ما سنتناوله بقدر أكبر من التفصيل فى موضع تالٍ، مع ملاحظة أنه فى غياب كل العوامل المهمة التى تساعد على صهر الجماعات الإنسانية، وتكوين الأمم، لا يتبقى بين اليهود سوى رابطة الدين فقط.

وتجدر الإشارة هنا، إلى أن "الحركة الصهيونية أخذت عن حركة "التنوير اليهودية"[5]، تلك الرؤى المتعلقة بتحويل اليهود إلى شعب مثل سائر الشعوب،

---

(١) دومنيك فيدال -جوزيف الغازى، خطيئة إسرائيل، ترجمة سعد الطويل، مراجعة جمال الرفاعي(د)، دار سطور، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣، ص٤٣.

(٢) هيثم الكيلاني(د)، المرجع السابق، ص ٨١.

(٣) ريجينا الشريف، المرجع السابق، ص ١٠.

(٤) محمد محمود ربيع(د)، المرجع السابق، ص ٢٢٩، ٢٣٠.

(٥) حركة التنوير: يطلق عليها أيضا الهسكالاه وهو اسم عبرى بمعنى "التنوير- التثقيف" ، والمقصود الحركة التى قادها الفيلسوف اليهودى الالمانى موسى مندلسون بين يهود ألمانيا فى القرن الثامن عشر بتأثير حركة التنوير الاوروبية ، لحث اليهود على تعلم لغة البلاد التى يعيشون فيها والتحدث بها وتحطيم اسوار الجيتو والاندماج فى المجتمعات الأوروبية، وقد حققت نجاحا واسعا فى دول غرب أوروبا، لكنها عندما اتجهت لشرق أوروبا نحت منحى مختلفا واتخذت من العبرية وسيلة للتثقيف. وتحول أنصارها لتبنى الحل الصهيونى بعد مقتل الكسندر الأول قيصر روسيا فى ١٨٨١ واتهام اليهود بقتله. (راجع : رشاد عبد الله الشامي(د)، تفكيك الصهيونية فى الأدب الإسرائيلى، الدار الثقافية، ٢٠٠٣، ص١٦).

ومن هنا عملت على تشجيعه على العمل فى المجالات الإنتاجية والتحدث بالعبرية. أما وجه الاختلاف بين "الحركة القومية" ونظيرتها التنويرية فيتمثل فى أن الصهيونية رأت –بالإضافة لما سبق ذكره– أنه لا يمكن تحقيق هذه الأهداف، إلا من خلال الاستيطان فى إقليم يهودى يتمتع بالحكم الذاتى فى فلسطين"[١]. فالصهيونية من هذا المنظور هى نوع من رد الفعل على حركة التنوير، بكل ما كانت تؤدى إليه من تنوير واندماج وذوبان لليهود فى المجتمعات التى يعيشون فيها دون مشاكل تذكر.

أما بالنسبة للمؤشرات والأسباب التى أدت إلى قيام الصهيونية، بعد فشل حركة "التنوير" أو "الهسكالاه"، فهناك من يرى أن "سبب ظهور "الصهيونية السياسية" هو كونها رد فعل مباشر لأحداث الاضطهاد التى تعرضت لها الجماعات اليهودية فى روسيا. فبعد اغتيال القيصر الكسندر الثانى فى عام ١٨٨١ اجتاحت روسيا موجه من الاضطهادات ضد اليهود الذين اتهموا بقتل القيصر"[٢]. وهو ما يتعارض مع حقيقة تعرض اليهود فى السابق لعدد من الأحداث (نتيجة عدم اندماجهم الكافى فى الدول التى تستضيفهم)، ومع هذا لم تظهر حركة تدعو للقومية، وإقامة وطن لليهود، هذا بالاضافة إلى أنه "فى أعقاب أحداث روسيا هاجر بالفعل ملايين اليهود، لكن الغالبية العظمى استقرت فى الولايات المتحدة ، وكندا، وبريطانيا، وأمريكا اللاتينية، وجنوب أفريقيا، بينما اتجه نحو ١٪ فقط لفلسطين"[٣]. أى أن البدايات كانت متواضعة للغاية.

وعلى أى حال فقد أصرت الصهيونية منذ البداية على أن تحصل على دعم من قوى عظمى لتحقيق أهدافها، وساعد فى هذا تلاقى المصالح وتقاطعها مع القوى

---

(١) يديديا إسحقى، مبادىء العلمانية اليهودية، مختارات إسرائيلية ، عدد (٩٥) ، مؤسسة الأهرام، القاهرة، نوفمبر ٢٠٠٢، ص١١.

(٢) محمد خليفة حسن(د)، الحركة الصهيونية طبيعتها وعلاقاتها بالتراث الدينى اليهودى، دار المعارف، ١٩٨١،
ص ٨٣، ٨٤.

(٣) שלמה אבינרי، הרעיון הציוני לגוניו، ספרית אפקים-עם עובד، תל אביב، 1980، עמ' 14.

الاستعمارية، الأمر الذى مهد لظهور ما يسمى بالصهيونية المسيحية[1]، حينما تدفقت الخبرات والمخططات ورؤوس الأموال نحو أراضى الشرق، واحتاجت لإقامة "مخفر أمامى لها فى المنطقة العربية. حيث وقع الاختيار على فلسطين، لكونها بين القارات الثلاث، وفى مركز العالم العربى الذى كان مخططا له أن يكون هدفا أساسيا فى مشاريع التجزئة الاستعمارية"[2]. وتمثل هذا "المخفر" فى الدولة الصهيونية على أرض فلسطين.

وهكذا تحالف الاستعمار مع الصهيونية بعد أن تلاقت مصالحه معها وهو ما يتفق عليه عدد من الباحثين، حيث يؤكدون على أن "إسرائيل تعتمد على المساندة الإمبريالية فى تحقيق المخطط الصهيونى، الذى هو فى الواقع وعلى وجه التحديد مشروع استعمارى استيطانى"[3].

وقد ساعد فى تحقيق الأهداف الصهيونية إعلان هرتزل الصريح بوجود مصلحة دولية فى إقامة دولة لليهود، و"إن الصهيونية إنما أتت لكى تقدم حلا شاملا لليهود وللشعوب التى سكنوا بين ظهرانيها فى نفس الوقت"[4]. ويجدر بنا كذلك، فى هذا السياق، الوقوف أمام التحليل العلمى للشخصية اليهودية الصهيونية حيث نجدها

---

(١) **الصهيونية المسيحية**: جماعات مسيحية داعمة للافكار الصهيونية وخرافة "عودة اليهود إلى أرض الميعاد" ولدت أول إرهاصاتها فى بريطانيا فى مطلع القرن السادس عشر. وقد وجدت تلك الأفكار أصداء واسعة سواء لدى الكتاب والمفكرين البريطانيين، أو على الصعيد الأيديولوجى، أو على صعيد الحركات السياسية. ويعد صدور وعد بلفور أحد نتائج ضغوط تلك الجماعات. ويبرز هذا التيار فى السنوات الآخيرة فى الولايات المتحدة الأمريكية بشكل أكبر. وقد أكد قداسة البابا شنودة الثالث بابا الإسكندرية، أن ما يطلق عليه "المسيحية الصهيونية" هو بدعة أمريكية، لا وجود لها فى العالم العربى. (راجع : أديب نجيب، موقف اليمين المسيحى والكنائس الامريكية من قضايا الشرق الأوسط، سلسلة كراسات استراتيجية، مؤسسة الأهرام ، القاهرة،٢٠٠٣، العدد ١٢٢، ص٦-٢٤).

(٢) بديعة أمين، الأسس الأيديولوجية للأدب الصهيونى، دار الشؤون الثقافية العامة –بغداد ، الطبعة الأولى، ١٩٨٩،ص ٤٢.

(٣) رشاد عبد الله الشامي(د)، الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، كتاب الهلال، القاهرة، العدد (٦٢٤)، ديسمبر ٢٠٠٢، ص٣٦٨.

(٤) **אמנון רובינשטין, מהרצל עד גוש אמונים ובחזרה, הוצאת שוקן, ירושלים ותל אביב, 1980, עמ' 20.**

تتصف "بإحساس حاد بالعزلة عن البشر، وهو وضع اختاره الصهاينة لأنفسهم. فبعد أن يئسوا من أوروبا، أدانوا الإنسانية كلها، بعد أن فشلت حركة التنوير اليهودية فى تحقيق الحل الاندماجى، وقرروا أن العالم معاد لهم دون استثناء، وعززوا هذا الإحساس حتى أصبح بالنسبة لهم حقيقة نفسية"[1].

وعند استعراضنا لركائز الصهيونية نجد أنها تقوم على:

١- مقاومة حركة اندماج اليهود فى الشعوب الأخرى، وذلك بإقناع اليهود فى الشتات بالهجرة إلى إسرائيل.

٢- توفير أهم شرط لذلك التجمع الجديد وهو عامل الأرض أو الوطن، عن طريق اغتصاب فلسطين .

٣- خلق أمة جديدة من اليهود المشتتين بعد صهرهم فى بوتقة واحدة اعتمادا على توفر أهم عاملين وهما الأرض وإحياء اللغة العبرية.

٤- السعى إلى خلق نمط يهودى جديد، غير نمط اليهودى الجيتوى، بهدف إعداد جيل من الشباب يتمثل فى جيل الصبار[2].

٥- استخدام العنف ضد، كل من يعارض الصهيونية، على الرغم من أن قادة الصهيونية زعموا بأن أهداف الحركة ستتحقق بالطرق السلمية والدبلوماسية ولم تكن الحرب من بين الأهداف المعلنة لها.

٦- السعى بكل الوسائل للتقرب من القوى العظمى والتحدث معها بلغة المصالح المشتركة، حتى يتسنى لها الحصول على الدعم السياسى والمادى والعسكرى لتحقيق أهداف الصهيونية فى النهاية.

وقد لاقت الصهيونية منذ البداية معارضة شديدة من قبل المندمجين من اليهود وسط شعوب العالم. ومن النماذج على ذلك معارضة يهود بريطانيا للصهيونية خاصة فى أعقاب صدور وعد بلفور حيث "واجه الصهاينة عقبة جديدة تمثلت فى

---

(١) راجع: رشاد عبد الله الشامي(د)، المرجع السابق، ص ٨٩.

(٢) الصبار: مصطلح يشير إلى اليهود من مواليد فلسطين.

الدوائر المندمجة بين يهود انجلترا الذين كان عددهم محدودا، لكن تأثيرهم كان كبيرا، خاصة وأنهم عارضوا الفكرة الصهيونية بضراوة. ونشر هؤلاء المعارضون فى مايو ١٩١٧ بيانا ذكروا فيه: إن النظرية الصهيونية، التى تعتبر أن كل الطوائف اليهودية فى العالم هى أمة واحدة ينقصها وطن، وأن تلك الأمة غير قادرة على الاندماج السياسى والاجتماعى الكامل مع الشعوب التى تعيش وسطها، وتحتاج لمركز سياسى ولوطن قومى دائم فى "أرض إسرائيل"، تهدد مكانة اليهود فى العالم كله، من شأنها أن تؤدى إلى اعتبار اليهود أجانب فى البلدان التى يقطنونها"[١]. أى أن التخوف المبكر كان هاجسا ينتاب قطاعات مؤثرة من يهود العالم، ولم يكن وعد بلفور مدعاة للفخر أو السعادة بالنسبة لهم، بل على العكس، كان مدعاة للقلق والتخوف من تأثير هذا الاتجاه الصهيونى على أوضاعهم، خاصة وأنهم لا يعتزمون ترك بلادهم. ومجمل ما سبق يعد مؤشرا على أن نسبة مؤثرة من القطاعات الغنية من اليهود لم تغادر أوروبا بحثا عن وعود ومخططات صهيونية.

وعلى أرض الواقع، نجد أن الدولة الصهيونية قامت بالفعل، لكنها قامت بأسلوب معاكس لأى دولة طبيعية، ففى حين أن "الدول الطبيعية تقوم فى حالة وجود إقليم معين تسكنه جماعة من الناس تنبثق منهم سلطة سياسية، فإننا نجد فى حالة إسرائيل، أن السلطة السياسية تكونت أولا تحت الحماية البريطانية، التى أمنت لتلك السلطة موطيء قدم فى إقليم معين، ثم قامت بالغزو البشرى والاستيطان جزئيا فى ذلك الإقليم، حتى إذا توفرت الظروف الملائمة اقتلعت هذه المجموعة البشرية الطارئة السكان الأصليين"[٢].

ومن المؤشرات ذات الدلالة بالنسبة للصهيونية، أنه على الرغم من أن الصهيونية تبدو للوهلة الأولى، وفى الظاهر وقد حققت هدفها فى تأسيس الدولة، فإننا بنظرة متعمقة نجد أنها تعانى من احتقان شديد، وتصلب شرايين، وخير دليل على هذا ظهور ما عرف بـ "ما بعد الصهيونية"، حيث يقصد بهذا التعبير: "اتجاه أيديولوجى صهيونى، يرى أن الصهيونية حققت أهدافها ولم يبق لها ما تفعله، وعليها السعى

---

(١) בנימין אליאב، (בעריכת)، הישוב בימי הבית הלאומי، כתר، 1976، עמ' 11.

(٢) غازى السعدى، الأحزاب والحكم فى إسرائيل، دار الجليل، عمان، ١٩٨٨، ص ٣٧.

لأن تكون دولة طبيعية مثل سائر الدول تضمن الأمان لشعبها، وتحقق له الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية"[1]. أى أنه يشير إلى انحسار الأيديولوجية الصهيونية، ودخول التجمع الصهيونى إلى عصر ما بعد الأيديولوجيات، حيث أن كلمة "بعد" فى الخطاب الفلسفى الغربى تعنى أن النموذج المهيمن قد ضمر وذوى، ولم يولد نموذج جديد يحل محله، أى أن ثمة أزمة على مستوى النموذج، لم يظهر حل لها بعد.

٣ـ التصنيفات الداخلية للصهيونية:

سيطرت الخلافات منذ البداية على منظرى الصهيونية، ودب شقاق عنيف بينهم سواء حول مكان تجميع يهود العالم، أو حول الأسلوب الأمثل لتحقيق هذا الهدف. وفى الوقت نفسه وجدت الأيديولوجية الصهيونية نفسها - منذ البداية- فى "محك منافسة شديدة مع عقائد أخرى كانت أكثر رواجا ورسوخا فى دوائر المجتمع اليهودي: مثل الديانة اليهودية، التى ظلت من جيل إلى جيل الركيزة الأساسية لدعم اتساق عناصر الشعب اليهودى، والشيوعية، التى نجح هدفها الرامى لخلق عالم واحد، لا تسوده أية مفاهيم عرقية أو طبقية أو قومية فى جذب هؤلاء المشردين"[2]. وهنا عثر المختلفون على ضالتهم فى الدين، حيث قاموا بالتستر خلفه -على الرغم من علمانيتهم- بهدف تغذية الفكر الصهيونى بالمقولات الغيبية وإسقاط الروايات التاريخية، حتى ولو كانت محرفة، على الحاضر والمستقبل. وهكذا كانت اليهودية هى القوة الروحية التى شيدت عليها الصهيونية وجودها الفعلى، وكان على رأس ما استغلته الصهيونية فى الدين، عقيدة الإيمان بقداسة "أرض إسرائيل"، وأن "شعب إسرائيل" هو "شعب مختار"، وضرورة عدم الاندماج مع الأغيار ، بل وكراهيتهم. وخير دليل على أن الصهيونية كانت فى الحقيقة تستهتر بالدين اليهودى وأهمية الالتزام به، "عدم قيام هرتزل بختان ولده الوحيد هانز (١٨٩١- ١٩٣٠)، بالرغم من أن ابنه كان يبلغ الثالثة عشرة من عمره عند وفاة والده، علما بأن الشريعة اليهودية تعتبر الختان من أبرز رموزها ويجب بمقتضاها أن

---

(١) رشاد عبد الله الشامي(د)، تفكيك الصهيونية فى الأدب الإسرائيلى، مرجع سابق، ص٢٠٩.
(٢) أورى وزولى ، المرجع السابق، ص ٢٤.

يختن الوليد فى اليوم السابع على أقصى تقدير، حتى لو كان اليوم السابع هو يوم السبت أو عيد الغفران، بل وتختتن جثة الطفل لو مات قبل أن يتم يومه السابع"[1].

ويمكن القول، بأن المشروع الصهيونى قد اتخذ شكله بعد صدور تصريح بلفور فى عام ١٩١٧، وهو الأمر الذى فجر مواجهات أيديولوجية داخل الحركة الصهيونية حول مسألتين أساسيتين للغاية هما: السلوك على الساحة الدولية، والمبادىء، السياسية التى يجب أن توجه الأنشطة الصهيونية فى فلسطين تجاه المشكلة العربية. وعندئذ ظهر على الساحة معسكران صهيونيان هما: "الصهيونية السياسية (أو الصهيونية الرئيسية المنبثقة من التيار الصهيونى الاشتراكى العمالي) وكان يمثلها حاييم ڤايتسمان ، ودافيد بن جوريون، والصهيونية التحريفية المنسوبة لزئيف جابوتنسكى"[2].

والمتتبع لنشأة الصهيونية سيميز داخلها تيارات رئيسية :

أ – التيار العمومى (الصهيونية السياسية):

بزعامة هرتزل و"يقوم على ضرورة توفير ضمانات سياسية وقانونية للدولة اليهودية قبل أن يبدأ اليهود فى استيطان فلسطين.. وقد تفرعت عن هذه التيارات تيارات فرعية"[3].

ب- التيار العمالي(الاشتراكي):

ويؤمن أتباع هذا التيار بأن (المسألة اليهودية) تنبع من مشكلة فائض سكنى يهودى غير قادر على الاندماج، وفى رأى "نحمان سيركين"، مؤسس هذا التيار، أنه "ينبغى تأسيس الدولة على أساس تعاونى. حيث يقوم الاقتصاد على العون المتبادل وملكية العمال لوسائل الإنتاج"[4] .

---

(١) صلاح الزرو، المتدينون فى المجتمع الإسرائيلى،رابطة الجامعيين- مركز الأبحاث الخليل، الطبعة الأولى ١٩٩٠، ص١٤٩.

(٢) راجع: رشاد عبد الله الشامي(د)، تقرير لجنة الأيديولوجية، دراسة مستقبلية لاحتمالات عملية التسوية السياسية حتى عام ٢٠٠٠، مرجع سابق، ص ٩٩.

(٣) نهاد فوزى حميد، الحياة السياسية فى الكيان الصهيونى، منشورات وزارة الثقافة، سلسلة الدراسات السياسية، دمشق، ٢٠٠٢، ص١٣.

(٤) راجع: عبد الوهاب المسيري(د)، المرجع السابق، المجلد ٦، ص ٢٧٤.

وبالإضافة لـ"الصهيونية الدينية" التى سنستعرض مقوماتها وأهدافها لاحقا بقدر من التفصيل، كانت توجد كذلك "صهيونية تصحيحية"، و "صهيونية ثقافية" تزعمها أحاد هاعام، و"صهيونية مسيحية". وبالإضافة إلى التصنيفات التى سبق الإشارة إليها يوجد "حشد هائل من تيارات الفكر الصهيونى، التى تمثل تعددا هائلا من الرؤى لتحقيق أهداف الحركة الصهيونية مثل : الصهيونية الخيرية، والصهيونية العملية، والصهيونية التوفيقية، والصهيونية العضوية، والصهيونية التخطيطية ، والصهيونية الميكانيكية، وصهيونية الحد الأدنى، والصهيونية الشعبية، والصهيونية الخلاصية، والصهيونية الدفاعية، والصهيونية بلا صهيون"[١].

ومع ملاحظة، أنه منذ البداية ظهرت طبقة عسكرية، برزت فى المجتمع وهى متشبعة بالمفاهيم الصهيونية، التى تستمد جذورها من المفاهيم الدينية والتاريخية اليهودية، فقد توقف الفصل بين ما هو عسكرى وما هو سياسى. كما تم الربط بين كل ما هو دينى وما هو تاريخى، حتى أصبحنا أمام معادلة على النحو التالي:" الدينى = التاريخى = العسكرى = السياسى"[٢].

وفى المقابل ظهرت على الساحة منذ صعود الليكود[٣] للسلطة عام ١٩٧٧ إرهاصات لما بعد الصهيونية، حيث اقترن مصطلح "ما بعد الصهيونية" بما عُرف فى المجال الأكاديمى والبحثى فى إسرائيل بمفهوم "المؤرخون الجدد"[٤].

---

(١) رشاد عبد الله الشامي(د)، الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، المقدمة، دار الزهراء ، القاهرة ، الطبعة الثانية، ١٩٩١، ص ٢٤.

(٢) محمد محمود أبو غدير(د)، الصراع الدينى العلمانى داخل الجيش الإسرائيلى، مركز الدراسات الشرقية – جامعة القاهرة ، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ١٠.

(٣) الليكود: أكبر أحزاب معسكر اليمين الإسرائيلى ، وقد تأسس الليكود عام ١٩٧٣، والمكونان الأساسيان له هما: حركة "حيروت" (الحرية) والحزب الليبرالى الإسرائيلى". وقد أسست حركة "حيروت" عام ١٩٤٨ بواسطة منشقين عن منظمة "إتسل" برئاسة مناحم بيجين. وقد أسس الحزب الليبرالى عام ١٩٦١. وفى عام ١٩٦٥ أنشأ الحزبان "كتلة الحرية الليبرالية" (جحال) (**נא לעיין: משה ליפשיץ، המשטר הדמוקרטי בישראל، מעמדה של הדת היהודי במדינת ישראל، אור עם، תל אביב، עמ' 128**).

(٤) محمد محمود أبو غدير(د)،" إسرائيل ما بعد الصهيونية"دراسة فى واقع المشروع الصهيونى ومستقبله"، رسالة المشرق، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، القاهرة، المجلد الرابع، ١٩٩٥، ص٥٩.

(راجع أيضا: دومنيك فيدال –جوزيف الغازى، المرجع السابق، ص٤٣ ،٤٤).

ومن كل ما سبق، نخلص إلى أن الصهيونية حددت منذ ظهورها على مسرح الأحداث، ثلاثة أهداف تجمع عليها كل التقسيمات الداخلية للمعسكر الصهيونى وهذه الأهداف الثلاثة هي: الانفصال عن المنفى، وخلق شعب جديد، وخلق إنسان جديد.